أردوغان : زعيم يفهم شعبه

أصبحت تركيا برئيسها الحالي رجب طيب أردوغان محط أنظار الجميع، فبعد سنوات من الانغلاق على نفسها باتت دولة يتحدث عنها الجميع فارضةً نفسها إقليميًا ودوليًا بعدة سياسات تأتي من موقعها الجغرافي وقوة إرادة حاكمي البلاد أردوغان ورفاقه؛ ففي الآونة الأخيرة احتلت مكانة هامة في العالمين العربي والإسلامي بل وأنشأت العديد من النوافذ الإلكترونية الإعلامية باللغة العربية التي تهتم بتفاصيل الشأن التركي خارجيًا وداخليًا.

بالتأكيد لم تصل تركيا لهذه المنزلة جزافًا أو مع مرور الزمن لكنها حددت موقعها إقليميًا ولعبت على استقرار وضعها الداخلي رغم أن تركيا بها الكثير من العوامل الفاعلة التي تجعلها دولة غير مستقرة حيث تعدد الجنسيات وحساسية الحدود وقوة الأحزاب المعارضة وتغلغل الدولة العميقة وتأثيرها.

فتوجهت تركيا على العالم الخارجي في أفريقيا وبلاد البلقان ودول الاتحاد السوفيتي ذات الأصول التركية، وأحيت آثار الدولة العثمانية في تلك البلاد لإحياء حضارة واستعادة أمجاد ترمز إلى الدور التاريخي للأتراك في خدمة الإسلام، وساهمت في التعليم فيها وفتحت الأبواب على مصراعيها لمؤسسات الدعم والإغاثة في تلك الدول حتى أصبحت تركيا فاعلاً مؤثرًا فيها بشكل تلقائي.

عاشت تركيا سنوات الانغلاق على نفسها طوال أكثر من 60 عامًا بعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية ومكث الشعب التركي في براثن التأثر الغربي المقيت، فعاشت التطور الغربي في الفن والانحلال وغيرهما دون أي تنمية حقيقة في مصلحة الشعب والمواطن العادي، حيث عاصر الأتراك أكثر من انقلاب عسكري، كما واجهت تركيا فترة طويلة من القمع حُوربت فيها قيم وثقافة قطاع كبير من الشعب التركي.

فاقتصاد ضعيف ومستوى متدني في المعيشة والدخل العام! ووضع دولي وإقليمي سيء!علاقتها

بالدول الإسلامية ضعيفة! الروابط بين الشعوب الأخرى شبه منقطعة! مما أدى إلى وجود فجوة كبيرة بين الشعب التركي والحكومات حتى أوائل التسعينيات.

لماذا ذكرت كل هذا؟ الوصول لنقطة هامة نفتقدها نحن في منطقتنا وهي ثقة الشعب في الحاكم وفهم الحاكم لشعبه، التجربة التركية بقيادة أردوغان لها ما لها وعليها ما عليها، لكن الدرس الذي نأخذه من هذه التجربة هي كيف يستطيع حاكم أن يفهم شعبه؟ ويفعل كل شيء مستدهدفًا رضا شعبه، حتى في طريقة إلقاء ونوعية ومحتوى خطاباته التي تجعل شعبه يستمر في دعمه في استحقاقات انتخابية مستمرة لمدة 13 عامًا.

الشعب التركي في طبعه شعب يحب الزعماء ويقتدي بهم ويقدس الزعيم القوي، كان رؤساء تركيا قبل أردوغان يقفون أمام رؤساء أمريكا أو أوربا مطأطئي الرؤوس، وكانوا في الاجتماعات الدولية في الصفوف الخلفية دائمًا، مثالاً لذلك مشهد معروف لرئيس وزراء تركيا السابق أجاويد وهو يقف أمام الرئيس الأمريكي كيلينتون مكتوف الأيدى وناظرًا للأسفل أمامه؛ لكن أردوغان مختلفًا في هذه الأمر فيجلس بجانب أوباما واضعًا قدم على قدم ويجعل رئيس فرنسا أسفل منه في الاستقبال الرسمي ردًا على إهانته لتركيا، يقوم برفع علم تركيا من الأرض في اجتماع الأمم المتحدة ويضعه في جيبه؛ يقف في مؤتمر دافوس ويقول ليبيريز "وان مينيت" ويترك الاجتماع، وهذه الأفعال تعبر عن الشعب التركي ويعتز بها المواطن العادي، كان لكل هذا تأثير على حب الأتراك لرئيس وزرائهم وعودة الثقة لدى الشعب في حاكمه بأنه حاكم قوي ذو تأثير يمثلهم.

يخرج أردوغان في استقباله لرئيس فلسطين محمود عباس ومن ورائه تشريفة يوجد بها جنود بزي الـ 16 دولة التي أسسها الأتراك على مدى التاريخ بداية من أول دولة تركية في التاريخ وهي دولة الجوك تورك حتى الدولة العثمانية؛ فهي رسالة قوية لشعبه وللعالم أن تركيا قد تغيرت، وكل هذه الأمور تستهوى المواطن العادي المعتز بتاريخه وأصوله على عكس الأحزاب العلمانية التي باعدت بعنف بين الشعب التركي وهويته وتاريخه الأصلي.

خطاب أردوغان دائمًا ما يكون قوي مليء بتفاصيل يهتم بها المواطن في حياته اليومية؛ يقسو فيه على المعارضة العلمانية والقومية، يتطرق دائمًا على تاريخ تلك الأحزاب التي لم تسهم في تطور تركيا ولا الاهتمام بمطالب المواطنين.

لمس أردوغان في سياسته وطريقة إدارته حاجة الناس وساهم على مدار العشر سنوات السابقة في تحسين مستوى الدخل والاهتمام بخدمة الناس (عن طريق البلديات)، نظف البلد وأنشأ الطرق، وأكثر من الخدمات فسهل على الناس حياتهم ورفع مستوى تلك الخدمات في المؤسسات الحكومية والمستشفيات وكل ما يلمس حاجة المواطن العادي والأمور التي تهمه شخصيًا مثل التأمين الصحي والتعليم المجاني في الجامعات وتقليل الأمية وفتح آليات الاستمتاع بالحياة لكافة طوائف شعبه.

كنت في حديث مع زميل تركي يعمل في مجال الأبحاث والإحصائيات فحكي لي أنه بعد انتخابات البلديات في إحدى الدورات الانتخابية، فقد حزب العدالة والتنمية إحدى البلديات ولم ينجح رئيس البلدية السابق في تلك الانتخابات رغم حب المواطنين هناك لحزب العدالة والتنمية، فاكتشفوا بعد دراسة عملية أن هذا الشخص كان مضيقًا على التجار والبائعين ولم يكن متجاوبًا أو متفاعلاً معهم، فغير الحزب سياسته وتعامله في تلك المنطقة، فإدارة أردوغان تعمل على الأرض مع الناس وتتفقد احتياجاتهم المادية والنفسية ووتترقب ذلك في أعمالها تحسبًا للانتخابات التي تليها.

وللعلم أنه رغم ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة موارد الدخل إلا أن المواطن يشعر بصعوبة الحياة والغلاء، لكن تسارع الحياة وحركتها تجعل الناس متجاوبين ومتأقلمين مع الوضع وهذا يرجع لأمرين: أولهما ثقة الشعب في أردوغان، ثانيًا استقرار الدولة لفترة زمنية طويلة دون اضطرابات تؤرق من راحة

الشعب عكس الفترات السابقة التي كان يتخللها انقلابات واضطراب اقتصادي وسياسي.

فلعب أردوغان وحزبه على أكبر متطلب للشعوب وهو الاستقرار واستمرار الحياة، حتى إنه جعل "الاستقرار" شعارًا لحملته الانتخابية، فالاستقرار مع نجاحات اقتصادية وسياسية على الواقع جعل الشعب التركي يصوت لأردوغان في كل انتخابات بنسب متقاربة والتي تصل للخمسين في المئة، وهي نسبة لا يحصل عليها أي حزب حاكم جاء بانتخابات نزيهة حقيقة في منطقتنا.

من زار تركيا من الخارج قبل عشر سنوات ويزروها الآن يدرك مدي التغيير الذي حدث على مستويات كثيرة، والمواطن التركي يدرك ذلك جيدًا، فتسأل أي مواطن في الشارع أو سائق تاكسي رغم ظروف المعيشة الصعبة حاليًا فيقول لك: بلدنا الآن أفضل بكثير مما سبق، وأردوغان هو من جعل تركيا تصل لهذا الوضع الجيد.

فكيف تثق الشعوب في حكامها في المرحلة القادمة، عندما ننظر إلى دولة كتركيا لم نسمع خلال السنوات السابقة وخصوصًا في موسم الثورات أن الشعب التركي بمختلف طوائفه قام وطالب بإسقاط الحكومة والنظام! وهذا بالرغم من وجود مشاكل داخلية مستعصية في تركيا، ويرجع ذلك إلى أن الشعب التركي فعلاً يثق في حكومة "العدالة والتنمية" وأردوغان، لأن المواطن يرى نجاحات على كل الأصعدة ويرى تقدم حتى ولو كان بطيئًا من وجهة نظر البعض المعارض، حكومة استطاعت أن تعيش مع شعبها وتلبي طلباته، وتملك حرفتها في التعامل مع الأزمات، وامتلاكها لإدارة داخلية استطاعت أن تجعل من هذا البلد قوة اقتصادية رهيبة تنافس الأسواق العالمية الآن.

نستخلص من كل ماسبق أن أردوغان وحزبه استطاعا أن يستوعبا بعمق كل ما يحتاجه المواطن التركي في كل مجالات الحياة سواء ثقه واعتزاز بدولته، قوة الاقتصاد، التعليم المجاني المتقدم، الرعاية الصحية و"التأمين الصحي"، الخدمات العامة بشكل عام ومساعده الشباب لخلق فرص عمل جديده لهم.

هكذا تُدار البلاد التي تسعي للتقدم والاستقرارالسياسي والاقتصادي لشعوبها، فلنأخد التجربة التركية مثالاً ناجحًا في الاستقرار والتواجد الإقليمي والدولي.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/5504/